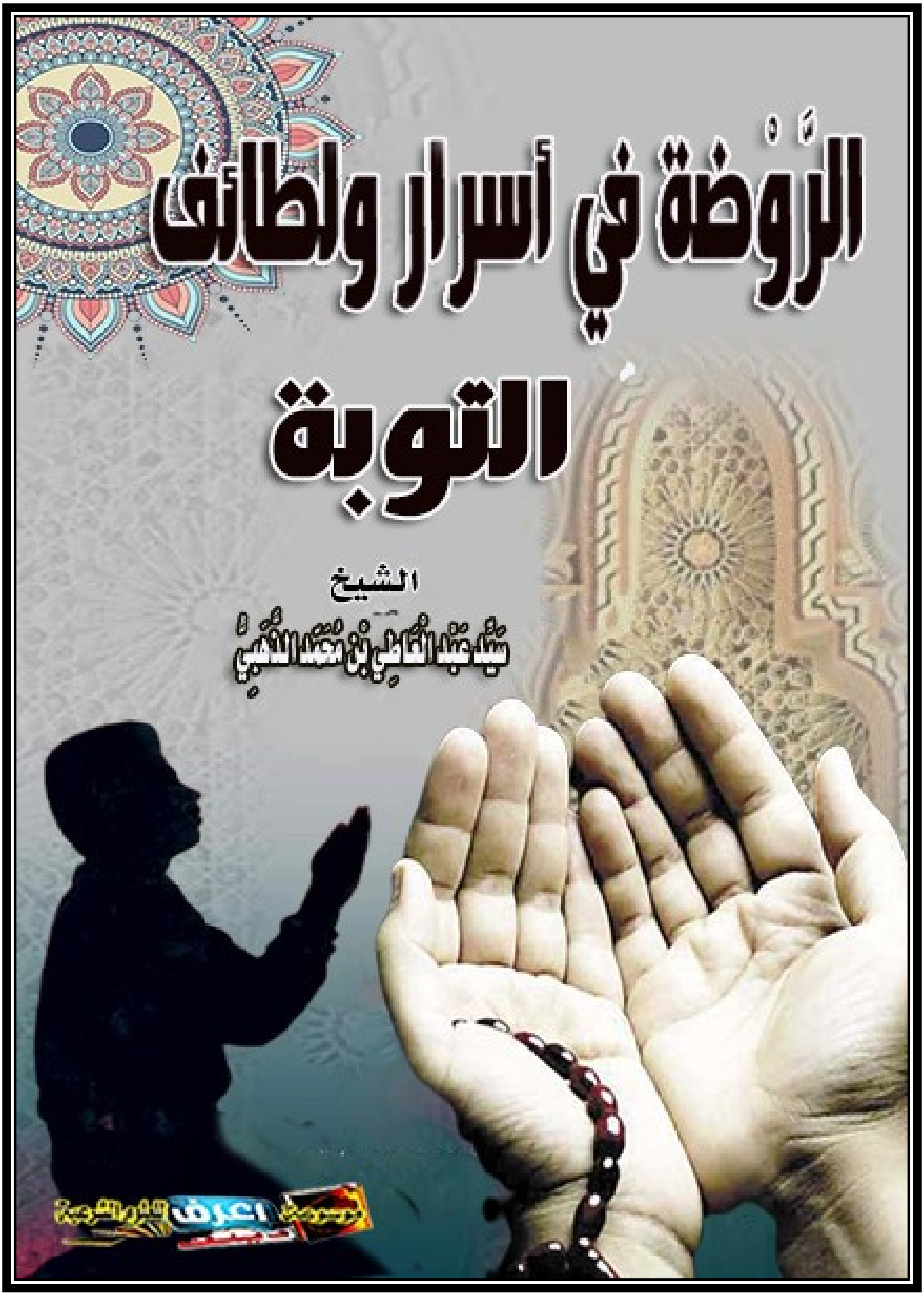

الرَّوْضَة في أسرار ولطائف
التوبة
الشيخ
سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بِنْ مُحَمَّد النَّجْبِي

بسم الله الرحمن الرحيم

الرَوْضَة في أسرار ولطائف التوبة

الشيخ

سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي



مُقَدِّمَة

•الحَمْدُ للهِ الَّذِي بَيَّنَ أَحْكَامَ المِلَّةِ السَّنِيَّةِ، وَزَيَّنَ أَعْلامَ الجِلَّةِ السُّنِّيَّة، وَبَصَّرَهُمْ بِمَا آتَاهُمْ مِنَ الآثَارِ النَّبَوِيَّةِ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ أَصْحَابِ الطُّرُقِ الْبِدْعِيَّةِ، أَشْكُرُهُ عَلَى أَيَادٍ جارِيَةٍ وَحفِيَّةٍ، وَأَسْتَغْفِرُهُ لِمَسَاوِئَ بَادِيَةٍ وَخَفِيَّةٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ المتُوَحّدُ بِالبَقَاءِ فِي الأَزَلِيَّةِ، المُنْفَرِدُ بِالكِبْرِيَاءِ وَالجَبْرِيَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي دَعَانَا إِلَى المِلَّةِ الزَّهْرَاءِ الحَنِيفِيَّةِ، وَتَرَكَنَا عَلَى مَحَجَّةٍ بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ،صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي المقَادِرِ العَلِيَّةِ، وَالمآثِرِ الجَلِيَّةِ.

أَمَّابَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ–رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ–سِلْسِلَةٌ مُفِيدَةٌ نَافِعَةٌ بِعُنْوَانِ"الرَّوْضَةُ فِي أَسْرَارِ وَلَطَائِفِ التَّوْبَةِ"وَمَعَ أُولَي حَلقَاتِهَا وَعُنْوَانُهَا"التَّوْبَةُ وَظِيفَةُ الْعُمُرِ"

وَالْآنَ حَانَ وَقْتُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ وَمِنْهُ وَحْدَهُ يُسْتَمَدُّ الْعَوْنُ وَيُسْتَجْلَبُ التَّيْسِيرُ

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللهِ أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيّ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية



▪(الرَّوْضَةُ فِي أَسْرَارِ وَلَطَائِفِ التَّوْبَةِ" ١ "):

•الحَمْدُ للهِ الَّذِي بَيَّنَ أَحْكَامَ المِلَّةِ السَّنِيَّةِ، وَزَيَّنَ أَعْلامَ الجِلَّةِ السُّنِّيَّةِ، وَبَصَّرَهُمْ بِمَا آتَاهُمْ مِنَ الآثَارِ النَّبَوِيَّةِ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ أَصْحَابِ الطُّرُقِ الْبِدْعِيَّةِ، أَشْكُرُهُ عَلَى أَيَادٍ جارِيَةٍ وَحفِيَّةٍ، وَأَسْتَغْفِرُهُ لِمَسَاوِئَ بَادِيَةٍ وَخَفِيَّةٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ المُتَوَحّدُ بِالبَقَاءِ فِي الأَزَلِيَّةِ، المُنْفَرِدُ بِالكِبْرِيَاءِ وَالجَبْرِيَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي دَعَانَا إِلَى المِلَّةِ الزَّهْرَاءِ الحَنِيفِيَّةِ، وَتَرَكَنا عَلَى مَحَجَّةٍ بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ،صَلَّي اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم ِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي المَقَادِرِ العَلِيَّةِ، وَالمآثِرِ الجَلِيَّةِ.

أَمَّابَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ–رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ–سِلْسِلَةٌ مُفِيدَةٌ نَافِعَةٌ بِعُنْوَانِ"الرَّوْضَةُ فِي أَسْرَارِ وَلَطَائِفِ التَّوْبَةِ"وَمَعَ أُولَي حَلَقَاتِهَا وَعُنْوَانُهَا"التَّوْبَةُ وَظِيفَةُ الْعُمُرِ"

وَالْآنَ حَانَ وَقْتُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ وَمِنْهُ وَحْدَهُ يُسْتَمَدُّ الْعَوْنُ وَيُسْتَجْلَبُ التَّيْسِيرُ:

▪"التَّوْبَةُ وَظِيفَةُ الْعُمُرِ":

•التَّوْبَةُ هِيَ وَظِيفَةُ الْعُمُرِ،فَهِيَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْعَبْدِ وَأَوْسَطُهَا وَآخِرُهَا،

فَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي لا تُفَارِقُ الْعَبْدَ الَّذِي يُرِيدُ الْوُصُولَ إلي رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالتَّوْبَةُ هِيَ بِدَايَةُ الْعَبْدِ وَنِهَايَتُهُ، وَحَاجَتُهُ إِلَيْهَا فِي النّهَايَةِ ضَرُورِيَّةٌ كَمَا أَنَّ حَاجَتَهُ إِلَيْهَا فِي الْبِدَايَةِ كَذَلِك.

•قَالَ اللهُ تَعَالَي:

" قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ". (النُّور: ٣١:٣٠).

•الشَّاهِدُ قَوْلُهُ تَعَالَي:"وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".

•هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ الْمُبَارَكَةُ وَرَدَتْ عَلَي مَائِدَةِ سُورَةٍ كَرِيمَةٍ مُبَارَكَةٍ هِيَ سُورَةُ"النُّور"وَهِيَ سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ خَاطَبَ اللهُ بِهَا أَهْلَ الإِيمَانِ وَخِيَارَ خَلْقِهِ أنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَصِدْقِ يَقِينِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَهِجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ، ثُمَّ عَلَّقَ الْفَلاحَ بِالتَّوْبَةِ تَعْلِيقَ الْمُسَبَّبِ بِالسَّبَبِ، وَأَتَي بِأَدَاةِ "لَعَلَّ" الْمُشْعِرَةِ بِالتَّرَجِّي إِيذَانًا بِأَنَّكُم إِذَا تُبْتُمْ كُنْتُمْ عَلَي رَجَاءِ الْفَلاحِ، فَلا يَرْجُو الْفَلاحَ إلا التَّائِبُونَ جَعَلَنَا اللهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَكَرَمِه.

•وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَي مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَجْتَمِعُ فِيهِ طَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ، فَلا يَخْلُو مُؤْمِنٌ مِنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ وَإِلَيْكَ أَدِلَّةُ ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَة:

•(١)–فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي سُنَنِهِ كِتَابُ الْقِيَامَةِ بِرَقَمِ "٢٤٩٩" مِنْ حَدِيثِ أَنَس بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–أَنَّ النَّبِيَّ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ:"كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ".

•(٢)–•وأَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ بِرَقَمِ"٢٥٧٧ "عَنْ أَبِي ذَرٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ :"يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي

أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ".

•وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ"يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ".

•(٣)–•وَأَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ كِتَابُ الْقَدَرِ بِرَقَمِ"٢٦٥٧ "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–عَنْ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –قَالَ :"كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنْ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ".

••فَائِدَةٌ:

–لَيْسَ مَعْنَي الْحَدِيثِ السَّابِقِ رَفْعَ اللَّوْمِ عَمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَلا يَجُوزُ الاحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ عَلَي الذُّنُوبِ وَالْمَعَائِبِ، إنَّمَا يُحْتَجُّ بِالْقَدَرِ عَلَي الْمَصَائِبِ.

•فَالاحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ عَلَي عَلَي الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَالْمَعَائِبِ مِنْ فِعْلِ الْمُشْرِكِينَ وَالدَّلِيلُ عَلَي ذَلِكَ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِع مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَي هِيَ:

•"أ"–قَالَ اللهُ تَعَالَي:

"سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ". (الأنعام:١٤٨).

•"ب"–وَقَالَ اللهُ تعَالَي:

"وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ". (النَّحل:٣٥).

•"ج"–وَقَالَ اللهُ تَعَالَي:

"وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ". (الزُّخْرُف:٢٠).

•"د"–وَقَالَ اللهُ تَعَالَي:

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ". (يس:٤٧).

•قَالَ الْقَاسِمِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–:

"فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ مَوَاضِع فِي الْقُرْآنِ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ فِيهَا أَنَّ الاحْتِجَاجَ بِالْقَدَرِ مِنْ فِعْلِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ". (انْظُرْ:مَحَاسِنِ التَّأْوِيل:"٤/٥٢٥").

•وَقَالَ شَيْخُ الإسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ–رَحِمَهُ اللهُ–:

"فَالاحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ حَالُ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ لا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ وَيَتْرُكُونَ". (انْظُرْ:مِنْهَاج السُّنَّة النَّبَوِيَّة"٣/٥٨").

•(٤)–•وَأَخْرَجَ الإمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ البِرّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ بِرَقَم" ٢٥٨١" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –قَالَ :

"أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ".

▪فَالتَّوْبَةُ هِيَ وَظِيفَةُ الْعُمُرِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُلازِمَ الْعَبْدَ السَّائِرَ إِلَي اللهِ تَعالَي فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ لِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَي:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ". (الحجرات:١١).

••فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَي:"وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"قَسَّمَ الْعِبَادَ إِلَي تَائِبٍ وَظَالِمٍ، وَمَا ثَمَّ قِسْمٌ ثَالِثٌ الْبَتَّةَ، وَأَوْقَعَ اسْمَ الظَّالِمِ عَلَي مَنْ لَمْ يَتُبْ وَلا أَظْلَمَ مِنْهُ لِجَهْلِهِ بِرَبِّهِ وَبِحَقِّهِ، وَبِعَيْبِ نَفْسِهِ وَآفَاتِ أَعْمَالِهِ.

•فَقَدْ أَخْرَجَ الإمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ الدَّعَوَاتِ–بَاب اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–فِي الْيَوْمِ وَاللَّيلَةِ بِرَقَم"٥٩٤٨ "حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –يَقُولُ:" وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً".

••وَكَانَ الصَّحَابَةُ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ–يَعُدُّونَ لَهُ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ:

"رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ"مِائَةَ مَرَّةٍ.

▪فَتَدَبَّرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ–رَحِمَنِي اللهُ وإِيَّاكَ–هَذَا رَسُولُ اللهِ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَمَاذَا يَفْعَلُ مَنْ حَالُهُ كَحَالِي وَحَالِكَ؟.



▪(الرَّوْضَةُ فِي أَسْرَارِ وَلَطَائِفِ التَّوْبَةِ"٢"):

•الحَمْدُ للهِ الَّذِي بَيَّنَ أَحْكَامَ المِلَّةِ السَّنِيَّةِ، وَزَيَّنَ أَعْلامَ الجِلَّةِ السُّنِّيَّةِ، وَبَصَّرَهُمْ بِمَا آتَاهُمْ مِنَ الآثَارِ النَّبَوِيَّةِ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ أَصْحَابِ الطُّرُقِ الْبِدْعِيَّةِ، أَشْكُرُهُ عَلَى أَيَادٍ جارِيَةٍ وَحفِيَّةٍ، وَأَسْتَغْفِرُهُ لِمَسَاوِئَ بَادِيَةٍ وَخَفِيَّةٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ المتُوَحِّدُ بالبَقَاءِ فِي الأَزَلِيَّةِ، المنْفَرِدُ بالكِبْرِيَاءِ وَالجَبْرِيَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي دَعَانَا إلَى المِلَّةِ الزَّهْرَاءِ الحَنِيفِيَّةِ، وَتَرَكَنا عَلَى مَحَجَّةٍ بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ،صَلَّي اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم ِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي المقَادِرِ العَلِيَّةِ، وَالمآثِرِ الجَلِيَّةِ.

أَمَّابَعْدُ:

فَمَرْحَبًا بِكَ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ–رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ– عَلَي مَائِدَةِ الْحَلَقَةِ الثَّانِيَةِ فِي ظِلالِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْمَوْسُومَةِ ب"الرَّوْضَة فِي أَسْرَار ِوَلَطَائِفِ التَّوْبَةِ"وَعُنْوَانُهَا"الاعْتِصَامُ بِاللهِ هِدَايَةٌ وَنَجَاةٌ"والآنَ حَانَ وَقْتُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ وَمِنْهُ وَحْدَهُ يُسْتَمَدُ الْعَوْنُ وَالتَّيْسِيرُ:

▪الاعْتِصَامُ بِاللهِ هِدَايَةٌ وَنَجَاةٌ:

•اعْلَمْ يَاطَالِبَ النَّجَاةِ–رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ–أَنَّ التَّوْبَةَ هِيَ رُجُوعُ الْعَبْدِ إلَي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُفَارَقَتُهُ لِصِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، وَذَلِكَ لايَحْصُلُ إلا بِهِدَايَةِ اللهِ إلَي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم، وَلا تَحْصُلُ هِدَايَتُهُ إلا بِإعَانَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، لِذَلِكَ فَقَدْ انْتَظَمَتْهَا سُورَةُ الْفَاتِحَةُ أَحْسَنَ انْتِظَامٍ، وَتَضَمَّنَتْهَا أَبْلَغَ تَضَمُّنٍ، فَمَنْ أَعْطَي سُورَةَ الْفَاتِحَةِ حَقَّهَا–عِلْمًا وَشُهُودًا وَحَالًا وَمَعْرِفَةً–عَلِمَ أَنَّهُ لا تَصِحُّ لَهُ قِرَاءَتُهَا عَلَي الْعُبُودِيَّةِ إلا بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ فَإنَّ الْهِدَايَةَ

التَّامَّةَ لا تَكُونُ مَعَ الْجَهْلِ بِالذُّنوبِ وَلا مَعَ الإصْرَارِ عَلَيْهَا، وَلِذَلِكَ لا تَصِحُّ التَّوْبَةُ إلا بَعْدَ مَعْرِفَةِ الذَّنْبِ والاعْتِرَافِ بِهِ وَطَلَبِ التَّخَلُّصِ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِهِ اَوَّلًا وَآخِرًا.

▪فَلابُدَّ أنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ الْمُقْتَرِفُ لِلذَّنْبِ أَنَّهُ حِينَ اقْتِرَافِهِ لِلذَّنْبِ انْخَلَعَ عَنِ اعْتِصَامِهِ بِاللهِ تَعَالَي فِإنَّهُ لَوِ اعْتَصَمَ بِاللهِ لَمَا خَرَجَ عَنْ هِدَايَةِ الطَّاعَةِ فَالاعْتِصَامُ بِاللهِ هِدَايَةٌ وَنَجاةٌ.

•قَالَ اللهُ تَعَالَي:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ". (آل عمران:١٠٣:١٠٠).

▪فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:"وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ". بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ الاعْتِصَامَ بِاللهِ تَعَالَي هُوَ الْعُمْدَةُ فِي الْهِدَايَةِ، وَالْعُدَّةُ فِي مُبَاعَدَةِ الْغِوَايَةِ، وَالْوَسِيلَةُ إلَي الرَّشَادِ وَطَرِيقِ السَّدَادِ وَحُصُولِ الْمُرَادِ.

▪فَالاعْتِصَامُ بِآيَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ –الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ–وَمُتَابَعَةُ الرَّسُولِ الأمِينِ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَازِعَانِ عَنْ مُوَاقَعَةِ الضَّلالِ وَاقْتِرَافِ الذُّنُوبِ لِذَا قَالَ تَعَالَي:"وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ". (آل عمران:١٠١).

•فَسَمَاعُ الْقُرْآنِ، وَمُشَاهَدَةُ أَنْوَارِ الرَّسُولِ–صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ–وَازِعَانِ عَنْ مُوَاقَعَةِ الضَّلالِ .

•قَالَ قَتَادَةُ–رَحِمَهُ اللهُ–:"أَمَّا الرَّسُولُ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَدْ مَضَي إلَي رَحْمَةِ اللهِ وَأَمَّا الْكِتَابُ فَبَاقٍ عَلَي وَجْهِ الدَّهْرِ".

•وَمَعْنَي الآيَةِ:مَنْ يَتَمَسَّكُ بِدِينِ اللهِ تَعَالَي الْمُسْتَمَدِّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ فَلا يُخْشَي عَلَيْهِ الضَّلالُ فَقَدْ جَاءَ الْفِعْلُ بِصِيغَةِ الْمَاضِي مَسْبُوقًا ب"قَدْ""فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ".لِيُفِيد تَحَقُّقَ الْهُدَي حَتَّي كَأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ.

▪فَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ للطَّرِيقِ إلَي اللهِ تَعَالَي شَيْئٌ، وَالْهِدَايَةُ عَلَي الطَّرِيقِ شَيئٌ آخَرُ، فَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْعَقَبَاتِ عَلَي الطَّرِيقِ لاسَبِيل للنَّجَاةِ مِنْهَا إلابِالْاعْتِصَامِ بِاللهِ تَعَالَي، فَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ للطَّرِيقِ لَيْسَتْ كَافِيَةً فَهُوَ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إلَي هِدَايَةٍ خَاصَّةٍ تَعْصِمُهُ مِنْ عَقَبَاتِ الطَّرِيقِ.

▪لِذَلِكَ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَي أَنْ نَسْأَلَهُ الْهِدَايَةَ إلَي الصِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ نَرْكَعُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرِيضَةً كَانَتْ أَوْ نَافِلَةً فَنَقْرَأُ عَلَي مَائِدَةِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ:"اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ".(الفاتحة:٧:٦). وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ الْهِدَايَةَ إلَي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْهِدَايَةَ فِيهِ.

▪فَقَدْ أَخْرَجَ الإمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي سُنَنِهِ –كِتَابُ الدَّعَوَاتِ بِرَقَمِ"٣٤٨٣" عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَبِي :"يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا ؟قَالَ أَبِي :سَبْعَةً سِتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ ؟قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ قَالَ :يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ قَالَ فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي فَقَالَ :قُلْ :"اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي".

(ورواه أحمد، ٣٣/ ١٩٧، برقم "١٩٩٩٢"وإسناده عند أحمد صحيح على شرط مسلم، كما قال مُحقِّقو المسند، "٣٣/ ١٩٧").

•فَقَدْ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–أن يَعْتَصِمَ بِاللهِ وَأَنْ يَسْأَلَهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوقِعَ فِي نَفْسِهِ الرُّشْدَ وَهُوَ الْهِدَايَةُ إلَي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَي وَرَسُولِهِ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–، وَأَنْ يَعْصِمَهُ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ؛ لأَنَّهَا أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، فَشَرُّ النَّفْسِ أَحَدُ مَنَابِعِ الشَّرِّ وَأُصُولِهِ، وَطُرُقِهِ

الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْهَلاكِ، إذَا لَمْ يَعْصِمْ اللهُ تَعَالَى الْعَبْدَ مِنْهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: "إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ". (يوسف:٥٣).

▪وَأَخْرَجَ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–أَيْضًا–فِي سُنَنِهِ كِتَاب الدَّعَوَاتِ بِرَقَمِ"٣٥٢٢ "حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ أَبِي كَعْبٍ صَاحِبِ الْحَرِيرِ حَدَّثَنِي شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ قَالَ :قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا–:يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إِذَا كَانَ عِنْدَكِ ؟قَالَتْ :"كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ فَقُلْتُ :يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَ :يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ فَتَلَا مُعَاذٌ:"رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا".

(وأخرجه أحمد، "١٠٠/١٨، برقم ١٢١٠٧"، والحاكم، "٥٢٥/١، و٥٢٨"، وصحَّحه ووافقه الذَّهبيُّ، وصحَّحه الشَّيخ الألبانيُّ في صحيح الجامع، ٣٠٩/٦، وصحيح التِّرمذيِّ، ١٧١/٣).

▪وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ كِتَابُ الرِّقَاقِ بَاب التَّوْبَةِ بِرَقَمِ" ٦٢٦"عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ ، عَلَى عَائِشَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا–، فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ : قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا ، فَقَالَ : أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الأَوَّلُ : زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا ، قَالَ : فَقَالَتْ : دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ ، قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ : أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ : فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ : لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي ، قَالَ : " يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي " قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ ، قَالَتْ : فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، قَالَتْ : فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ ، قَالَتْ : ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ ، قَالَتْ : ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ ، فَجَاءَ بِلالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاةِ ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ : " أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ سورة البقرة آية ١٦٤ الآيَةَ كُلَّهَا " .

(والحديث صحَّحه الشَّيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على ابن حبان وقال هو على شرط مسلم، انظر: ابن حبان– الصحيح– كتاب الرقائق– باب التوبة–" ٢/ ٣٨٦" حديث

"٦٢٠"وصحَّحه الشَّيخ الألبانيُّ في صحيح التَّرغِيب والتَّرهيب برقم"١٤٦٨").

▪حقًّا الاعْتِصَامُ بِاللهِ تَعَالَي هِدَايَةٌ وَنَجَاةٌ وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– فِي قَوْلِهِ تَعَالَي:"وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ". (المائدة:٤٨).

قوله:"لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا"قَالَ:"سَبِيلًا وَسُنَّةً".(انظر:تفسيرالحافظ ابن كثير).

•فَالسَّبِيلُ :الطَّرِيقُ وَهِيَ الْمِنْهَاجُ.

•والسُّنَّةُ :الشِّرْعَةُ وَهِيَ تَفَاصِيلُ الطَّرِيقِ وَكَيْفِيَّةُ الْمَسِيرِ فِيهِ وَأَوْقَاتُ الْمَسِيرِ .

▪فَالطَّرِيقُ هُوَ الإِسْلامُ ، وَالسُّنَّةُ هِيَ الْمَنْهَجُ الَّذِي سَتَسِيرُ وِفْقَهُ وَالَّذِي سَيُنِيرُ لَكَ الطَّرِيقَ، وَعَلَي الطَّرِيقِ يُوجَدُ مِنَحٌ وَمُعِينَاتٌ كَمَا يُوجَدُ عَوَائِقُ وَعلائِقُ وَقَوَاطِعُ، وَتَتَفَاوَتْ قُدْرَاتُ النَّاسِ فِي السَّيْرِ عَلَي هَذَا الطَّرِيقِ فَبِقَدْرِ سُرْعَةِ سَيْرِكَ إِلَي اللهِ فِي الدُّنْيَا بِقَدْرِ سُرْعَةِ نَجَاتِكَ عَلَي الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِقَدْرِ تَعَثُّرِكَ وَهَفَوَاتِكَ فِي طَرِيقِكَ فِي الدُّنْيَا بِقَدْرِ مَا سَتَكُونُ سَقَطَاتُكَ عَلَي الطِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.





الرَّوْضَةُ فِي أَسْرَارِ وَلَطَائِفِ التَّوْبَةِ"٣"):

•الحَمْدُ للهِ الَّذِي بَيَّنَ أَحْكَامَ المِلَّةِ السَّنِيَّةِ، وَزَيَّنَ أَعْلامَ الجِلَّةِ السُّنِّيَّةِ، وَبَصَّرَهُمْ بِمَا آتَاهُمْ مِنَ الآثَارِ النَّبَوِيَّةِ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ أَصْحَابِ الطُّرُقِ الْبِدْعِيَّةِ، أَشْكُرُهُ عَلَى أَيَادٍ جارِيَةٍ وَحفِيَّةٍ، وَأَسْتَغْفِرُهُ لِمَسَاوِئَ بَادِيَةٍ وَخَفِيَّةٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ المُتَوَحّدُ بِالبَقَاءِ فِي الأَزَلِيَّةِ، المُنْفَرِدُ بِالكِبْرِيَاءِ وَالجَبْرِيَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي دَعَانَا إِلَى المِلَّةِ الزَّهْرَاءِ الحَنِيفِيَّةِ، وَتَرَكَنَا عَلَى مَحَجَّةٍ بَيْضاءَ نَقِيَّةٍ،صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي المَقَادِرِ العَلِيَّةِ، وَالمآثِرِ الجَلِيَّةِ.

أَمَّابَعْدُ:

فَمَرْحَبًا بِكَ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ- عَلَي مَائِدَةِ الْحَلَقَةِ الثَّالِثَةِ فِي ظِلالِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْمَوْسُومَةِ ب"الرَّوْضَة فِي أَسْرَار وَلَطَائِفِ التَّوْبَةِ"وَعُنْوَانُهَا"مِنَحٌ وَمُعِينَاتٌ لِلوُصُولِ إِلَي رَبِّ الْبَرِيَّاتِ"والآنَ حَانَ وَقْتُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ وَمِنْهُ وَحْدَهُ يُسْتَمَدُ الْعَوْنُ وَالتَّيْسِيرُ:

▪مِنَحٌ وَمُعِينَاتٌ لِلوُصُولِ إِلَي رَبِّ الْبَرِيَّاتِ":

فِي الْحلَقَةِ السَّابِقَةِ وَقَفْنَا مَعَ سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِ التَّوْبَةِ إِلَي اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَطِيفَةٍ مِنْ لَطَائِفِهَا بِعُنْوَانِ"الاعْتِصَامِ بِاللهِ هِدَايَةٌ وَنَجَاةٌ"مِنْ خِلالِ آيَاتٍ كَرِيمَاتٍ مُبَارَكَاتٍ قَالَ فِيهَا رَبُّ الْبَرِّيَاتِ:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ". (آل عمران:١٠٣:١٠٠).

•وَأَشَرْنَا إِلَي أَنَّ مَعْرِفَةَ الطَّرِيقِ إِلَي اللهِ شَيْءٌ وَالسَّيْرَ عَلَي الطَّرِيقِ شَيْءٌ آخَر، فَالْعَبْدُ فِي أَمَسِّ الْحَاجَةِ للاعْتِصَامِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَالطَّرِيقُ إِلَي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا الْكَثِيرِ مِنْ الْعَقَبَاتِ مِنْ عَلائِقٍ وَعَوَائِقِ كَمَا أَنَّ بِهَا الْمِنَحَ وَالْمُعِينَاتِ الَّتِي تُعِينُ الْعَبْدَ الَّذِي يَعْتَصِمُ بِاللهِ تَعَالَي أَنْ يَسْلُكَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ قَالَ تَعَالَي:"وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ". (آل عمران:١٠٠).

•وَفِي هَذِهِ الْحَلَقَةِ بَيَانٌ لِبَعْضِ الْمِنَحِ وَالْمُعِينَاتِ لِلوُصُولِ إِلَي رَبِّ الْبَرِيَّاتِ سُبْحَانَهُ فَأَقُولُ وَبِاللهِ السَّدَادُ وَالتَّوفِيقُ:

▪لَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَي الثَّقَلَيْن–الْجِنَّ وَالإِنْسَ–لِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ تَقْوَاهُ وَالاشْتِغَالَ بِطَاعَتِهِ فَقَالَ تَعَالَي:

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ". (الذَّاريات:٥٨:٥٦).

–وَقَالَ تَعَالَي:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ". (البقرة:٢١).

•وَالْعِبَادَاةُ لَفْظَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ مَايُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الأقْوَالِ وَالأفْعَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَتَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْخُضُوعِ مَعَ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَالْحُقُوقُ مَرَاتِبٌ فَهُنَاكَ حَقُّ اللهِ وَحَقُّ الْخَلْقِ وَحَقُّ النَّفْسِ لِذَا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُبَيِّنَ الْحِكْمَةَ فِي تَرْتِيبِ أَرْكَانِ الإسْلام.

•فَقَدْ أَخْرَجَ الإمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ–كِتَاب الإيمَانِ–بَاب أرْكَانِ الإسْلامِ وَدَعَائِمِهِ الْعِظَامِ بِرَقَم"١٦" عَنِ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : " بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ " .

•قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ الْحِكْمَةَ فِي تَرْتِيبِ أَرْكَانِ الإسْلامِ تَتَمَثَّلُ فِي الآتِي:

▪الرُّكْنُ الأوَّلُ:"شَهَادَة أن لا إله إلا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ"فِيهِ بَيَانٌ لِلغَايَةِ مِنْ خَلْقِنَا وَبَيَانٌ لِلوَسِيلَةِ الَّتِي تُحَقِّقُ هَذِهِ الْغَايَةَ.

•فَقَوْلُنَا:"شَهَادَة أن لا إلَه إلا اللهُ"بَيَانٌ لِلغَايَةِ مِنْ خَلْقِنَا وَهِيَ الْعُبُودِيَّةُ لأنَّ مَعَنَاهَا لا مَعْبُود يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إلا اللهُ..

•وَقَوْلُنَا:"وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ"بَيَانٌ لِلوَسِيلَةِ الَّتِي تُحَقِّقُ لَنَا هَذِهِ الْغَايَةَ وَهِيَ مُتَابَعَةُ الرَّسُولُ–صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم–.

▪الرُّكْنُ الثَّانِي:"وَإقَامِ الصَّلاة"

فَبَعْدَ أَنْ تَعَرَّفْنَا عَلَي الْغَايَةِ وَالْوَسِيلَةِ إلَي تَحْقِيقِهَا لابُدَّ مِنْ تَقْدِيمِ أَعْلَي الْحُقُوقِ مَكَانَةً وَمَنْزِلَةً وَهُوَ حَقُّ اللهِ تَعَالَي فَإقَام الصَّلاة قِيَامٌ بِحَقِّ اللهِ تَعَالَي.

▪الرُّكْنُ الثَّالِثُ:"وَإيتَاء الزَّكَاةِ"

وَفِيهِ آدَاءٌ لِحُقُوقِ الْعِبَادِ.

▪الرُّكْنُ الرَّابِعُ:"وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ".

وَفِيهِ آدَاءٌ لِحقّ النَّفْسِ فَالثَّمَرَةُ الْمَرْجُوَّةُ مِنْ صَوْمِ رَمَضَانَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ بِتَحْقِيقِ التَّقْوَي قَالَ اللهُ تَعَالَي:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ". (البقرة:١٨٣).

•وَأَخْرَجَ الإمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ الصَّوْمِ بِرَقَمِ"١٧٨٠"عَنْ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–ِ :قَالَ اللَّهُ : " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ ، إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ " .

•وَأَخْرَجَ الإمَامُ الْبُخَارِيُّ–أَيْضًا–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ الصَّوْمِ بِرَقَمِ

ِ"١٨٠٤"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:"مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ".

▪الرُّكْنُ الْخَامِسُ:"وَحَجّ الْبَيْت"

وَهَذَا الرُّكْنُ جَمَعَ جَمِيعَ الْحُقُوق:

•"أ"–حَقُّ اللهِ بِأدَاءِ الْفَرِيضَةِ قَالَ تَعَالَي:"وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ". (البقرة:١٩٦).

•"ب"–حَقُّ الْعِبَادِ فِي ذَبْحِ الْهَدْيِ لِلمُتَمَتِعِ وَالْقَارِنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَي:"..فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ ..".

•"ج"–حقُّ النَّفْسِ فِي تَزْكِيَتِهَا قَالَ تَعَالَي:"الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ". (البقرة:١٩٧).

▪فَاللهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الثَّقَلَيْن لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَتَحْقِيقًا لِحِكْمَةِ الابْتِلاءِ والاخْتِبَارفِي قَوْلِهِ تَعَالَي:"تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ". (الملك:٢:١).فَقَدْ حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ.

•فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ الرِّقَاقِ–بَاب حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ بِرَقْمِ"٦١٢٢"مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ:

"حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ".وَفِي رِوَايَةٍ:"حُفَّتْ" ،وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ :"لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ :انْظُرْ إِلَيْهَا قَالَ :فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ :وَعِزَّتِك لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ :ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِك لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قَالَ :اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَقَالَ :وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ :ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَقَالَ :وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ ".فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ مُفَسِّرَةٌ للرِّوَايَةِ السَّابِقَةِ .

•فَالْمُرَادُ بِالشَّهَوَاتِ مَا يُسْتَلَذُّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مِمَّا مَنَعَ الشَّرْعُ مِنْ تَعَاطِيهِ إِمَّا بِالْأَصَالَةِ وَإِمَّا لِكَوْنِ فِعْلِهِ يَسْتَلْزِمُ تَرْكَ شَيْءٍ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ وَيُلْتَحَقُ بِذَلِكَ الشُّبُهَاتُ وَالْإِكْثَارُ مِمَّا أُبِيحَ خَشْيَةَ أَنْ يُوقِعَ فِي الْمُحَرَّمِ.

• وَالْمُرَادُ بِالْمَكَارِهِ هُنَا مَا أُمِرَ الْمُكَلَّفُ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ فِيهِ فِعْلًا وَتَرْكًا كَالْإِتْيَانِ بِالْعِبَادَاتِ عَلَى وَجْهِهَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا الْمَكَارِهِ

لِمَشَقَّتِهَا عَلَى الْعَامِلِ وَصُعُوبَتِهَا عَلَيْهِ وَمَنْ جُمْلَتِهَا الصَّبْرُ عَلَى الْمُصِيبَةِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا.

•فَكَأَنَّهُ قَالَ لَا يُوصَلُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا بِارْتِكَابِ الْمَشَقَّاتِ الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِالْمَكْرُوهَاتِ وَلَا إِلَى النَّارِ إِلَّا بِتَعَاطِي الشَّهَوَاتِ وَهُمَا مَحْجُوبَتَانِ فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَابَ اقْتَحَمَ .

▪وَمِنْ عَدْلِ اللهِ تَعَالَي وَرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ أَنْ جَعَلَ مِنَحًا رَبَّانِيَّةً وَمُعِينَاتٍ لِلعَبْدِ تُعِينُهُ عَلَي الوُصُولِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ نَذْكُرُ مِنْهَا:

▪أَوَّلًا:الْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ:

فَقَدْ خَلَقَ اللهُ عَبْدَهُ عَلَي فِطْرَةٍ سَلِيمَةٍ نَقِيَّةٍ مُهَيَّئَةٍ لِلتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالْإِيمَانِ الصَّادِقِ قَالَ اللهُ تَعَالَي:" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ". (الرُّوم:٣٠).

–وَأَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ الْقَدَرِ بِرَقَم

"٢٦٥٨" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:"مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ :"فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ "الْآيَةَ".

▪ثَانِيًا:الْعَقْلُ الْمُتَدَبِّرُ:

لَقَدْ مَنَحَ اللهُ الإِنْسَانَ عَقْلًا مُتَدَبِّرًا، وَهُوَ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَي الإِنْسَانِ وَمَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ تَكْرِيمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِبَنِي آدَمَ قَالَ اللهُ تَعَالَي:"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا". (الإسراء: ٧٠).

فَبالْعَقْلِ يُمَيِّزُ الْعَاقِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الصَّوَابِ وَالْخَطَأ.

▪ثَالِثًا:أَنْزَلَ اللهُ الْكُتُبَ:

فَمِنْ عَدْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ أَنْزَلَ كُتُبَهَ فِيهَابَيَان لِلمَنْهَجِ الْقَوِيمِ الَّذِي يَهْدِي إِلَي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ قَالَ اللهُ تَعَالَي:"كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ". (البقرة:٢١٣).

▪رَابِعًا:أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ:

وَمِنْ عَدْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَحْمَتِهِ أَنْ أَرْسَلَ رُسُلَهُ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِبَيَانِ مَنْهَجِهِ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ فَقَالَ اللهُ تَعَالَي:" إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا". (النِّساء:١٦٥:١٦٣).

▪خَامِسًا:تَأْيِيدُ الرُّسُلِ بِالْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ:

فَقَدْ ضَمَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كُتُبَهُ الإِعْجَازَ وَأَيَّدَ رُسُلَهُ بِالآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ لإِثْبَاتِ صِدْقِهِمْ وَبَيَانِ الْمَحَجَّةِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ.

▪سَادِسًا:وَاعِظُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ:

-فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ"٢٩٨٨"عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :"إِنَّ لِلشَّيْطَانَ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً : فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانَ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ ، وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ ، وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ ، فَيَحْمَدُ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى ؛ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) . ثُمَّ قَرَأَ:"الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ

وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ". (والحديث صَحَّحَه الشَّيخُ الألبانيُّ في صحيح التِّرْمِذِيّ برقم"٢٩٨٨").

–وَعَنْ خَالِدِ بْنِ معدان–رَحِمَهُ اللهُ–قَالَ:" مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَلَهُ أَرْبَعُ أَعْيُنٍ : عَيْنَانِ فِي رَأْسِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ الدُّنْيَا ، وَعَيْنَانِ فِي قَلْبِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ الْآخِرَةِ ؛ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَتَحَ عَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ فِي قَلْبِهِ ، فَأَبْصَرَ بِهِمَا مَا وُعِدَ بِالْغَيْبِ ، فَأَمِنَ الْغَيْبَ بِالْغَيْبِ ، وَإِذَا اللهُ بِعَبْدٍ غَيْرَذَلِكَ تَرَكَهُ مَاهُوَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ:"أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَي قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا". (محمد:٢٤). (انظر:صِفة الصَّفْوة:"٢/٣٧٤" وسيرأعلام النُّبلاء:"٤/٥٣٩").

•فَالْقَلْبُ لَهُ عَيْنَان يُبْصِرُ بِهِمَا لِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَي:"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ". (الحجُّ:٤٦).

–وَقَالَ اللهُ تَعَالَي:"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ". (ق:٣٧).

▪وَمِنْ هُنَا كَانَ لِزَامًا عَلَي الْعَبْدِ أَنْ يَهْتَمَّ بِتَزْكِيَةِ نَفْسِهِ وَتَطْهِيرِ قَلْبِهِ

وَيُنْصِتَ لِوَاعِظِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِهِ لِيَصِلَ إِلَي رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

▪وتَتَحَقَّقُ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَطْهِيرُ الْقَلْبِ بِالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ للهِ تَعَالَي الْقَائِلِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ

:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ". (التَّوبة:٢٨).

•فَالشِّرْكُ نَجَاسَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ لِلقَلْبِ، وَمَفْهُومُ الْمُخَالَفَةِ يَقْتَضِي أَنَّ التَّوْحِيدَ طُهْرٌ وَنَقَاءٌ وَتَزْكِيَةٌ، وَبَعْدَ التَّوْحِيدِ أدَاءُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ ثُمَّ بَاب التَّطَوُّعِ .

•فَقَدْ أَخْرَجَ الإمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ الرِّقَاقِ– بَاب التَّوَاضُعِ بِرَقَم"٦١٣٧"مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–:َ" إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ".

▪فَالَّلهُمَّ تُبْ عَلَيْنَا حَتَّي نَتُوبَ، اغْفِرْ ذُنُوبَنَا، وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا، وَأَمِّنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَفَرِّجْ كَرْبَ أُمَّتِنَا، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللهِ أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيّ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

تمت بحمد الله



مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية